دور العـلماء القــدامى والمحدثين في خدمة جماليات النــصّ الأدبـــي

د. محــمد مســعود جـــبران
عضو مجمع اللغة العربية ـ المراسل

تجلّت عبقرية اللغة العربية بين سائر اللغات بخصائصها الكثيرة والمنوعة التي تحدث عنها الكثير من علماء اللغة والباحثين العرب والغربيين، والتي ظهرت آثارها جليّة واضحة في نصوصها المتميزة والمتخيرة في فنّي المنظوم والمنثور طوال عهودها، والتي عُدّ بها أهلها العرب الأبيناء الفصحاء من المقاويل من ذوي اللسن، حتى أكرمهم الله بأن أنزل نظم كتابه "القرآن الكريم" بلسانهم المبين، يتحدى بروعة بيانه بيانهم وفصاحتهم. ويقيم بمحكم نظمه العجيب الدليل الناصع على سبقه وتبريزه تفكيرا وتعبيرا، قال ابن فارس: " لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها، قال جلّ ثناؤه: (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ، عَلَى

قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ)[1]. فوصف جلّ ثناؤه بأبلغ ما يوصف به الكلام، وهو البيان"[2].

وما من ريب في أنّ خصائص اللغة العربية الموصوفة بالبيان قد تمثلت مجتمعة في نصوصها الأدبية الخالدة، وفي طليعتها النظم القرآني التي تجلّت فيها جمالية الإبداع التي سلّم بروعتها المنصفون، كما تجلّى فيها عنصرا الإبداع في التفكير والتعبير البديعين، بحيث صارت تلك النصوص الأدبية الخالدة التي أبدعها الكتاب والشعراء من لدن عصر ما قبل الإسلام إلى اليوم، معبرة بجلاء عن عبقرية هذه اللغة، وعن خصائصها المتعددة، ومصورة أدق الخوالج والأحاسيس، والمعاني القريبة والبعيدة في حياة الناس.

ولقد تبين العرب منذ جاهليتهم إلى وقتنا الحاضر، بل تبيّن غير العرب من الأعاجم الذين درسوا العربية واستنشوا بنصوصها الجياد المنتخبة ما تمتلئ به طاقات اللغة العربية المنوعة من وضوح التفكير، وجلاء التعبير، فاعترفوا بقدراتها وفضائلها، وانحنوا إجلالا لعمق تراكيبها ودلالاتها، وبارع أساليبها وتصويراتها التي ظهرت وبهرت في تجليات النصوص الأدبية.

وهذا البحث الذي أشرف بالمشاركة به في هذا المؤتمر العلمي البهيج " المؤتمر الدولي للغة العربية، موظّف للحديث عن دور علماء اللغة القدامى والمحدثين من المشارقة والمغاربة في خدمة جماليات النصّ الأدبي" وهو يندرج تحت محور من محاور المؤتمر، وهو المحور المسمّى "اللغة العربية وجماليات النص"، وقد اقتصرت فيه على الإلماع إلى عبقرية اللغة العربية وشاعريتها، وجماليات نصوصها الأدبية بعد أن عرّفت بمصطلح تحليل جماليات النص الأدبي لغة واصطلاحا، ثم تتبّعت بإيجاز دور علماء اللغة العربية من المشارقة والمغاربة القدامى

1 : الآية 95 من سورة الشعراء.
2 : نقلا عن المزهر لجلال الدين السيوطي : 187، 200.

والمحدثين في اكتشاف وبيان جماليات النص الأدبي المنثور والمنظوم من خلال محورين أساسيين:

1- كتب الاختيارات المشرقية والمغربية.

2- كتب الشروح الأدبية في المشرق والمغرب.

3- كتب النقد الأدبي.

إذ لا خلاف بين شوامخ العلماء، ومشاهير الأدباء - كما سبقت الإشارة - في أن اللغة العربية الموصوفة في القرآن الكريم - باللسان العربي المبين - لغة سامية ثرية بغزارة ألفاظها وتراكيبها وأساليبها وتعابيرها، و بمجالي بلاغتها، ودقة نظمها، وأنها حازت - بلا ريب - قصب السبق في تفكيرها العميق المتنامي عبر العصور، وتعبيرها الأنيق المتسع عبر الدهور، فكانت مجلى الإعجاز الباهر للقرآن المعجز، وفضاء تسابق البلغاء الأبيناء فيما أبدعوه من النثر البارع، والشعر البديع.

على أننا ننطلق قبل الحديث عن الدور المهم الذي نهض به أعلام العربية من المشارقة والمغاربة في القديم والحديث في خدمة النص الأدبي أن نبدأ بالإجابة المختصرة عن هذا السؤال.

ما المقصود بمصطلح " تحليل جماليات النص الأدبي" ؟

لنحدد من خلال ذلك المراد بالمجال الفسيح الذي تمت من خلاله خدمة العلماء القدامى والمحدثين للنص الأدبي.

فما من ريب في أن للفظة " حلل " في المعاجم العربية معنى عاما يقصد به تفكيك الشيء، وإرجاعه إلى عناصره الجزئية التي تتكون منها، وهو شديد الصلة بالمعنى المراد في مصطلح " تحليل النص الأدبي" ؛ فقد جاء في المعجم الوسيط " حلّل العقدة: حلّها، والشيء رجعه إلى عناصره، يقال: حلّل الدم، وحلّل البول، ويقال حلل نفسية فلان: درسها لكشف خباياها (محدثة) واليمين تحليلا وتحلّة وتحلاّ: جعلها حلالا

بكفارة، ومما جاء فيه أيضا التحليل: تحليل الجملة: بيان أجزائها، ووظيفة كل منها.

وهكذا يتضح أن المعنى اللغوي له صلة وماتة قوية بالمعنى الاصطلاحي في هذا الباب، إذ يستفاد من المعاني اللغوية للفظ التحليل ما يُفيده المعنى الاصطلاحي للفظ نفسه، والذي يعني من قريب قراءة النص الأدبي المركّب بخصائصه المضمونية والشكلية، ثم تفكيك بنيته المتماسكة للدراسة إلى مجموع عناصره وأجزائه المكونة له، كيف يقف المحلل لبنياته المذكورة على طبائع تلك العناصر والأجزاء، وإظهار ما توفّرت عليه كلُّ وحدة منها من ملامح القوة أو الضعف ليحكم الدارسُ من خلال ذلك على النص الأدبي وجمالياته، بل إيجابياته وسلبياته، وليقنع المتلقي بما للنص وما عليه.

وتحليلُ النصّ الأدبي ـ على ذلك التفسير ـ يشابه إلى حدّ كبير ما يدلّ عليه المصطلح في عالم العلوم مثل التحليل الكيماوي والطبي، والتحليل الاقتصادي، وما يعنيه المصطلح أيضا في عالم العلوم الإنسانية مثل التحليل السياسي أو النفسي إذ يراد بالتحليل في العلوم دراسةُ المركبات الكيماوية، أو أعراض الأمراض إلى مكوناتها، كما يراد بالمصطلح في العلوم الإنسانية البحث عن الظواهر المختلفة في القضايا السياسية، أو الملامح النفسية لتبين عواملها ونتائجها، وهو ما يعنيه المصطلح في التحليل الأدبي الذي " يُعنى بدراسة الآثار الأدبية، ويتفحصها لمعرفة عناصرها، والمعطيات الفكرية والفنية التي تشمل عليها، والقيم الإنسانية التي تضمنتها والروابط التي تربطها بالحياة، وأثر ذلك في أفكار الناس وأخلاقهم وأذواقهم ووجداناتهم، وميادين عيشهم"[1].

أما لفظة " الجماليات " الواردة في المصطلح جماليات النص الأدبي ضمن عنوان البحث، فيراد بها مظاهر الإبداع الواردة في ثنايا مضمون النص الأدبي وشكله، أو بتعبير آخر: الملامح الفنية المائزة التي تجعل

1 : البلاغة وتحليل النصوص: 279.

للنص الأدبي النظيم والنثير قيمة إضافية بين سائر النصوص الأدبية المشابهة له من حيث المحتوى الفكري والعاطفي، والذي اصطلح على تسميته بالمضمون، أو من حيث القالب الموسيقي أو الأسلوبي والخيالي الذي عرف في عرف النقدة بالشكل.

فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى التعرف عن المراد بالنص الأدبي؛ وقفنا على أن للفظة " النصّ " تعريفين: الأول التعريف في اللغة، والآخر التعريف في الاصطلاح.

إذ أن أصل النصّ في اللغة عدة معان الرفع والاستخراج والاستقصاء والتحريك فتقول نصّ الحديث، رفعه إليه، وناقته استخرج أقصى ما عندها من السير، الشيء: حرّكه، ومنه فلان ينصّ أنفه غضبا، وهو نصّاص الأنف، والمتاع: جعل بعضه فوق بعض، وفلانا: استقصى مسألته عن الشيء، والعروس: أقعدها على المنصّة بالكسر، وهي ما ترفع عليه فانتصّت.

كما يعني أصل اللفظ في اللغة الإظهار، فقولنا نصّ الشيء بمعنى أظهره، والشواءُ ينصّ نصيصا: صوّت على النار، والقدر: غلت[1].

وللفظ معانٍ أخرى لعلها أقربها إلى ما نحن بصدده في النص الأدبي: نصّص غريمه وناصّه: استقصى عليه وناقشه[2]، ومؤدى ذلك أن اللفظ يفيد معنى الرفع، والاستخراج والاستقصاء والتحريك والمناقشة.

والنص في اللغة أيضا، وهو ما له ماتة مؤكدة وقريبة بالمعنى المقصود في الاصطلاح: هو صيغة الكلام الأصلية التي وردت من المؤلف، وما لا يحتمل إلى معنى واحدا، أولا يحتمل التأويل، ومنه قولهم لا اجتهاد مع النصّ، والجمعُ نصوص، ومن الشيء: منتهاه، ويبلغ

1 : تراجع معاجم: القاموس المحيط ولسان العرب، والوسيط.
2 : ترتيب القاموس المحيط باب النون 4 : 381-382.

أقصاه، يقال: بلغ الشيء نصّه، وبلغنا من الأمر نصّه شدّته كما جاء في المعجم الوسيط.

فصيغة الكلام الأصلية كما وردت من الكاتب والمبدع، وكون النصّ بلغ منتهاه، قريب ـ كما سوف يتضح ـ من دلالة الاصطلاح.

أما معنى النصّ في الاصطلاح، فإنه يعني في الجملة الخطاب الإبداعي المكتوب أو الشفهي المنقول والمصوغ شعرا أو نثرا، وفق شرائط وأصول فنّه الذي ينتمي إليه.

وقد جاء هذا المصطلح مختصرا ضيقا في " معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب" بحيث لا يخرج عما ذكرناه إذ ورد فيه أنّ النصّ : " الكلمات المطبوعة أو المخطوطة التي يتألف منها الأثر الأدبي "[1].

ومن ذلك ـ كما ورد فيه نصُّ الأغنية LYRICS ونصّ الأوبرا LIBRETTO، ونصّ التصوير[2].

وقد حظي " النصّ " حديثا بالعديد من الدراسات والكتابات والبحوث الكاشفة عن طبيعته من حيث الاصطلاح.

ولا خلاف بعد ذلك في أنّ المراد بلفظ " الأدبي " إذا استبعدنا ما لا يعنينا من تطور مفهوم " الأدب " وتطور دلالاته عبر العصور، إنما هو الإبداع القولي أو المكتوب، والمعبر بمضمونه وشكله عن خوالج المبدع سواء أكان شاعرا أم ناثرا، أو عن الكون العام، والذي يقنع المتلقي بتميزه، ويجعله متفاعلا معه، ومتأثرا به، وهو المعنى الذي تضمّنه قول الناقد الكبير الأُستاذ عباس محمود العقاد في تعريفه الموجز الدقيق " الأدب هو التعبير الجميل عن الشعور الصادق "[3].

---

1 : معجم المصطلحات العربية: 226.
2 : م ، ن.
3 : يراجع كتاب : شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي.

وفي ظني أنه لن يتحقق للنصّ الأدبي، أو الخطاب الأدبي هذا الوصف المائز، والتأثير المطلوب إلا بتوافر العناصر الأساسية اللازمة للنصّ، والمتمثلة في: الأفكار والعاطفة والأسلوب والأخيلة، وقد تنبّه القدامى والمحدثون من الأدباء والنقاد على حدّ سواء إلى أهمية الجماليات الفنية في النصوص الأدبية المنظومة والمنثورة، وإلى أثرها البالغ في تكوين الذائقة الأدبية لدى الأدباء، وشداة الأدب ودارسي التراث، وفي إغناء رصيدهم اللغوي والجمالي للمتلقي، وتزويدهم بروائع الطاقات التعبيرية، وببدائع القدرات التصويرية، والرسم الفني لخوالج النفوس بالكلمات؛ فحرصوا على انتخاب المنتخبات في كتب سموها في مساقات كتب التراث كتب المنتخبات أو كتب الاختيارات، بل إن القدامى والمحدثين من الأدباء والنقاد لم يقفوا عند ذلك المستوى من اكتشاف جماليات النصّ في المنظوم والمنثور فحسب، بل ذهبوا في تحليل جماليات النصوص الأدبية الرفيعة مذهبا عمليا متقدما حينما عملوا على شرح كتب الاختيارات، وفرائد القصائد والمقطعات والنتف، وهو ما عرف في تراثنا الأدبي واللغوي في القديم والحديث بكتب الشروح.

ومن المفيد أن نذكر أن كتب " الاختيارات " وكتب الشروح لم تكن عند القدامى والمحدثين مقصورة على فريق من أدباء العرب دون فريق، بل كانت كما أكّدت و دلّت الشواهد الماثلة والقرائن المؤكدة قاسما مشتركا بين أدباء العربية ونقادها المشارقة والمغاربة دون تفريق وذلك تسليما من هؤلاء الأدباء النوابغ والنقاد الشوامخ بما يؤديه النصّ الأدبي المتميز في نوعي الأدب النثير والنظيم في الرقي بذائقة المتلقي، وصقل ملكته، وإعلاء تكوينه الأدبي واللغوي، وأيضا في حفظ خرائد التراث.

ومن نافلة القول أن نذكر هنا أن أول من خدم جماليات النصّ الأدبي وتحليله سواء على مستوى الاختيارات، أو على مستوى الشروح والفسر إنما هم المشاركة، وهذا أمر طبعي، وتبعهم في ذلك علماء المغاربة والأندلسيون الذين ألفوا كسابقيهم آثارا كثيرة مفيدة في الاختيار

والشرح والنقد سنذكر جملة منها في هذا السياق، والتي تمثل أنموذجا من خدمة علماء العربية المشارقة والمغاربة، والقدماء والمحدثين لجماليات النصّ الأدبي، والتي تتمظهر في هذه المظاهر الثلاثة:

1- **كتب الاختيارات.**

2- **كتب الشروح.**

3- **كتب النقد الأدبي.**

أولا: خدمة النصّ عند القدامى:

1- كتب الاختيارات:

ألمحنا قبل قليل إلى أنّ علماء المشرق ونقاده وأدباءه القدامى كانوا أسبق في وضع كتب الاختيارات والمنتخبات الأدبية، وهو راجع بالطبع إلى أصالة المشرق، وإلى أنه محضن العربية وآدابها، وموطن أهلها وأصحابها.

ومن أوائل كتب الاختيارات الأدبية في المشرق ـ كما هو معروف من المصادر الكتب المسماة " دواوين القبائل "، وقد أورد ابن النديم من علماء القرن الرابع الذين عنوا بالاختيارات أسماء ثمانية وعشرين ديوانا، كلها منسوبة إلى صانعيها خمسة وعشرون منها صنعها أبو سعيد العسكري، وواحد نسبه إلى ابن الكلبي" وذكر أن هذه الدواوين بلغت في العدّ ستين حسب رواية الآمدي.

ومن أسف أن " دواوين القبائل " على اختلاف عددها وأشكالها. لم يصلنا منها شيء ما عدا " ديوان الهذليين "[1].

وقد تلا تلك المرحلة مرحلة أخرى اهتم فيها اللغويون بجمع دواوين الشعراء الجاهليين والشعراء المحدثين، كما أهتم الشعراء أنفسهم بجمع أشعارهم على نحو ما فعل أبو العلاء المعري في جمع ديوانيه " سقط الزند " و" لزوم ما لا يلزم " وعلى نحو ما فعل الأبيوردي وابن أفلح وغيرهم.

كما ظهر الاتجاه المشهور الذي توجهت فيه همم العلماء إلى مذهب الاختيار من أشعار مجموع الشعراء وهو ما عرف أثرهم فيه بكتب الاختيار، فكان من ذلك الاختيار من شعر الشعراء الجاهليين المعروف بالمعلقات التي جمعها حماد الراوية المتوفى عام (155/ 771م).

و" المفضليات " التي اختارها المفضل الضبي المتوفى عام (164/ 780م)[2]، والأصمعيات التي تمثل النماذج الأدبية التي اختارها الأصمعي عبد الملك بن قريب المتوفى عام (216/831م)[3]، وكتاب " جمهرة أشعار العرب " في الجاهلية والإسلام" من اختيار أبي زيد محمد بن الخطاب القرشي[4]، و" مختارات ابن الشجري" التي انتخبها أبو السعادات هبة الله بن علي المعروف بابن الشجري المتوفى عام (542/1147م)[5]، كما تندرج ضمن هذا الاتجاه في الاختيار " الحماسة " التي اختارها الشاعر المشهور حبيب بن أوس الطائي المعروف بأبي تمام المتوفى عام (231/ 846م)[6]. وقد عُدّ اختياره في " الحماسة " من أشهر كتب الاختيارات. ويبدو أنّ أبا تمام الشاعر أدرك قيمة الاختيار وأهميته في تكوين الذائقة الأدبية فاتجه هذا الاتجاه، وكانت له جهود عديدة فيها، فقيل أن له ستة،

---

1 : ديوان الهذليين نسبة إلى قبيلة هذيل، راجع ما كتبه الدكتور/ أمجد الطرابلسي في كتابه " نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب".
2 : الأغاني 125/5، ذيل الأماني والنوادر 130/3.
3 : مصادر الشعر الجاهلي: 55، الفهرست: 55 وما بعدها.
4 : مصادر الشعر الجاهلي: 584، المصادر اللغوية والأدبية في التراث: 80.
5 : بغية الوعاة: 224/2، البداية في النهاية: 223/12.
6 : مصادر التراث العربي: 57، مع المكتبة العربية: 284.

وقيل خمسة وقيل ثلاثة[1]، قال الآمدي في الموازنة أنها ستة " منها الاختيار القبائلي الأكبر اختار فيه من كل قبيلة قصيدة، وقد مرّ على يدي هذا الاختيار، ومنها اختيار آخر ترجمته القبائلي، اختار فيه قطعا من محاسن أشعار القبائل، ولم يورد فيه كبير شيء للمشهورين، ومنها الاختيار الذي تلتقط فيه محاسن شعر الجاهلية والإسلام، وأخذ من كل قصيدة شيئا حتى انتهى إلى إبراهيم بن هرمة، وهو اختيار مشهور معروف باختيار شعر الفحول، ومنها اختيار تلقط فيه أشياء من شعر المقلين، والشعراء المغمورين غير المشهورين، وبوّبه أبوابا وصدره بما قيل في الشجاعة، وهذا أشهر اختياراته وأكثرها في أيدي الناس، ويلقب بالحماسة"[2].

وثمة رواية أخرى تذكر أن جهود أبي تمام في الاختيار تنحصر في خمسة كتب ألفها عند دخوله همذان حسب رواية التبريزي وقد شكك فيها بعض الباحثين[3].

وقد وجد صديقنا الأستاذ الدكتور محمد عثمان علي ـ رحمه الله ـ في مقدمة الشرح المرجح نسبته إلى زيد بن علي الفارسي رواية تقول بأن جهود أبي تمام في الاختيار محصورة في ثلاثة فحسب[4].

وقد اتبع أبا تمام في طريقته في الحماسة والاختيار شعراء وأدباء صنفوا اختياراتهم ومختاراتهم أيضا في حماسات معروفة، منها حماسة تلميذه الشاعر المشهور أبي عبادة البحتري المتوفى عام (284/897م)[5]، وحماسة ابن الشجري[6]، وحماسة الخالديين للأخوين أبي عثمان سعيد وأبي بكر محمد من أعلام القرن الرابع الهجري [7]، والحماسة البصرية

---

1 : الموازنة بين الطائيين: 51.
2 : الموازنة بين الطائيين: 51.
3 : يراجع كتاب " نظرة تاريخية" وكتاب " مصادر الأدب".
4 : شروح الحماسة: 12.
5 : حماسة البحتري: 21/1-28.
6 : بغية الوعاة: 324/2، أنباه الرواة: 356/3.
7 : من غاب عنه المطرب: 58، يتيمة الدهر: 214/2,

لعلي بن أبي الفرج[1]، وجاراهم في مثل هذه التسمية والاختيار من علماء المغرب أبو العباس أحمد الجراوي الذي سمّى كتابه " صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب بالحماسة المغربية "[2]، ومن الحماسات المغربية المتقدمة على الحماسة المغربية المذكورة حماسة الشنتمري نسبته إلى الأديب يوسف بن عيسى بن سليمان النحوي المعروف بالأعلم (1083/476م) من مدينة شنتمرية بالأندلس، وحماسة الشاطبي أبي عامر محمد بن يحيى بن خليفة الشاطبي الأندلسي (1152/547م) أشار إليها البغدادي في إيضاح المكنون، والحماسة البياسية لأبي الحجاج يوسف محمد بن إبراهيم البياسي (1255/653م).

ثانيا : كتب الشروح الأدبية :

ومن مظاهر خدمة علمائنا القدامى والمحدثين للنصّ الأدبي المتميز وجمالياته الفنية في الشكل والمضمون ما عرف في تصنيفات كتب التراث بكتب الشروح الأدبية التي انطلقوا في تأليفها من منطلق معرفتهم أهمية النصّ الأدبي النفيس وقيمته، ودوره في الرقي بالذوائق والمدارك، وإثراء الأذهان والفهوم ومدى إسهاماته الظاهرة والمؤكدة في تكوين الملكات الأدبية عند الأدباء وشداة الأدب، فعملوا منذ أقدم العصور ـ حسبما تقدم ـ على اختيار النصوص الجيدة وتدوين منتخباتها في كتب، كما عملوا أيضا وفي مستوى أعمق على كشف مخبآءات تلك النصوص المنظومة والمنثورة، وإظهار مستور جمالياتها، ومستملح مكانتها فيما عرف في مصنفات كتب التراث بكتب الشروح الأدبية حيث أبانوا عن أخيلتها وتصويراتها، وشرحوا غوامضها، وقرّبوا ما بعد من معانيها في كتب كثيرة، وتصانيف وفيرة لا تزال إلى يومنا هذا معتمدا لدارسين، ومرجع الباحثين الذين ينشدون فهم النصوص الأدبية ونذوقها في التراث العربي القديم والحديث.

---

1 : الحماسة البصرية: 10/1.
2 : أزهار الرياض في أخبار عياض: 364/2، الغصون اليانعة: 98.

وقد كان تحليل النصّ الأدبي بلونيه الشعري والنثري عند القدامى من شيوخ الأدب وشذاته محصورا ـ كما هو معلوم ـ في مجرد مفهوم شرح النصّ اللغوي بكل ما يعنيه هذا الشرح من توضيح مستغلق الألفاظ الغريبة، ومستملح غرائب البلاغة، وإظهار معاني صاحب النصّ في إضاءة أدبية موضحة، والتعريج على إعراب النصّ إعرابا كاملا أو جزئيا.

وقد كثر التصنيف في مثل هذا اللون من الشرح عند القدامى لنوعي الشعر والنثر، وظلّ منهجهم المذكور متصلا متفاوتا إلى العصر الحديث حيث تبعهم فيه جملة من شراح النصّ الأدبي ودارسيه من المحدثين، الذين أفادوا كما يتبين من طرائق القدامى في اكتشاف في جماليات النص مضمونا وشكلا، وأضافوا إلى ما أفادوه طرائق جديدة وأساليب أخرى مفيدة.

ونحن إذا تأملنا في طبائع هذه الشروح لجماليات النصوص الأدبية واتجاهاتها عند الأقدمين والمحدثين نجدها تسير وفق هذا الاتجاه الموضوعي الغالب:

1- **شروح مشرقية على نصوص مشرقية.**

2- **شروح مغربية على نصوص مشرقية.**

3- **شروح مغربية على نصوص مغربية.**

أما الشروح المشرقية على النصوص المغربية فنادر وقليل، ومن أمثلتها شرح ابن نباته السعدي المسمى " سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون" .

شروح مشرقية على نصوص مشرقية

ما من ريب في أن هذه الشروح المشرقية التي حرّرها علماء المشرق على نصوص مشرقية منذ القرن الثالث الهجري كانت أقدم في

الظهور، وأرسخ في الكثرة والعدّ من الشروح المغربية التي كتبها علماء من المغرب في عصور لاحقة، والتي تناولوا فيها بالشرح اللغوي والتعليمي نصوصا أدبية متنوعة درسوا فيها كما سيتضح قصائد شعرية ودواوين وكتبا ومختارات كثيرة.

ومن الشروح المشرقية التي أقامها العلماء المشارقة على نصوص شعرية مشرقية شروحهم المتعددة على المعلقات، أي القصائد المطوّلة التي قالها الشعراء قبل عصر الإسلام، والتي سُمّيت في بعض الروايات بتلك التسمية لاختيارها أن تعلق لشرفها في الكعبة وأستارها[1]. كما سُمّيت بالمذهبات والسموط، ومن أشهر شروحها شرح العالم اللغوي أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري من علماء القرن الرابع، المتوفى عام (939/328م) " وهو شرح مطوّل احتوى على كثير من المعلومات المتصلة بالأخبار والأنساب واللغة والشعر والنثر، واشتمل على كثير من الشواهد من القرآن والحديث والشعر، وقد سمّاه " شرح القصائد السبع الطوال "[2].

وللإمام حسين بن أحمد الزوزني المتوفى عام (1093/486م) شرح للمعلقات سار فيه على ذلك المنهج التعليمي من الشرح إلا إنه يتميز في الجملة بالكثير من الاختصار والتركيز[3] كما أن للإمام أبي زكريا يحيى بن علي التبريزي في القرن السادس شرحا آخر جاء مختصرا، اهتم فيه كثيرا باللغة، وهو شرح متداول[4].

ومن هذه الشروح المشرقية على النصوص الشعرية المشرقية شروح علماء المشرق على ديوان الحماسة للشاعر الكبير أبي تمام، وقد حظي كتابه هذا في الاختيارات الذي سمّاه بباب من أبوابه وهو باب

1 : نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب: 111.
2 : يراجع كتاب نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب: 112.
3 : يراجع كتاب " مصادر التراث العربي" لعمر الدقاق.
4 : يراجع كتاب " نظرة تاريخية في حركة التأليف ".

الحماسة والشجاعة[1]، بعناية كبيرة ليس من علماء المشرق فحسب، بل من علماء المغرب أيضا كما سنذكر بعد قليل.

أما علماء المشرق الذين تولّوا كتاب " الحماسة " لأبي تمام بالشرح، فقد تجاوزوا إلى نهاية القرن السادس الهجري حسب استقراء صديقنا العالم الأديب الدكتور محمد عثمان على أكثر من أربعين عالما وشرحا؛[2] نذكر منهم أبا محمد القاسم بن علي الديمرتي الأصفهاني المتوفى سنة 287 وشرحه يسمى " العارض " ولم يهتدِ إليه حتى الآن[3]، وقد استنتج صديقنا أنه كان مسبوقا بغيره في هذا الشرح[4]، وأبا بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى عام 335 " وشرحه مفقود لا يعرف مكانه سوى ما دلّت عليه المراجع"[5]، وأبا رياش أحمد بن إبراهيم الشيباني المتوفى عام 339، وشرحه أيضا لم يهتدِ إليه"[6]، وأبا القاسم الحسن بن بشر الآمدي المتوفى عام 370 وشرحه لم يصل إلينا [7]، وأبا عبد الله الحسين بن علي النمري البصري المتوفى عام 385 وشرحه يُسمّى " معاني أبيات الحماسة "[8]، ومن العلماء الكبار الذين شرحوا كتاب " الحماسة " من اختيار أبي تمام أبو الفتح عثمان بن جنّي المتوفى عام (1001/392م) الذي ألف حوله كتابين أحدهما " المبهم في شرح أسماء شعراء والحماسة، والآخر كتاب " التنبيه على شرح مشكلات الحماسة[9]، وأبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري المتوفى عام (1004/395م)[10]، وأبو الحسين أحمد بن فارس المتوفى عام 395[11] شرحا أيضا نصوص شعر كتاب الحماسة.

---

1 : مصادر التراث العربي: 57.
2 : من الغريب أن الدكتور حسين محمد نقشه محقق شرح ديوان حماسة أبي تمام المنسوب لأبي العلاء المعري، استفاد من هذا الاستقراء الدقيق الذي كتبه الدكتور محمد عثمان علي، وأغفل الإشارة إليه في تقديمه لتحقيقه.
3 : شروح حماسة أبي تمام: 73.
4 : م. ن : 72.
5 : م. ن : 73.
6 : م . ن : 73.
7 : م. ن : 74.
8 : م . ن : 74.
9 : شروح حماسة أبي تمام 186.
10 : م. ن : 329.
11 : م. ن : 214.

ونذكر من علماء المشرق الذين ذكرهم الدكتور محمد عثمان علي من شراح الحماسة في القرن الخامس الهجري أبا علي أحمد بن محمد المرزوقي المتوفى عام (1030/421م)[1] وأبا الفتوح ثابت بن محمد الجرجاني المتوفى عام (1039/431م)[2] وأبا العلاء أحمد بن سليمان المعري المتوفى عام (1057/449م) الذي سمّى شرحه " الرياشي المصطنعي"[3].

ومن أعلام القرن السابع الذين أشار إليهم الدكتور محمد عثمان علي ضمن الشرّاح المشارقة للحماسة أبو البقاء عبد الله الحسين العكبري المتوفى علام (1219/616م) وقد سمّى شرحه " إعراب الحماسة "[4].

كذلك نجد من عناية الشرّاح المشارقة بتفسير النصوص الشعرية المشرقية ما ينصبّ على شرح ديوان من دواوين الشعراء الكبار مثل عنايتهم بشرح ديوان أبي الطيب المتنبي، فقد أحصى حاجي خليفة جملة من تلك الشروح منها شرح أبي العلاء لديوان المتنبي الذي سمّاه " اللامع العزيز " أو " معجز أحمد "[5]، وشرح الإمام أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي[6]، وشرح عبد القاهر بن عبد الله الحلبي النحوي المعروف بالوأواء[7]، وشرح أبي البركات مبارك بن أبي الفتوح، قيل إنه صنّفه في عشرة مجلدات[8].

ما ذكر من شروح ديوان المتنبي لدى القدامى من علماء اللغة والأدب المشارقة، يمكن أن يذكر أيضا عن الشروح الأدبية الأخرى التي كتبت في شرح جماليات دواوين غيره من مشاهير العصور المتعاقبة مثل ديوان أبي تمام، وديوان البحتري وغيرهما.

---

1 : م. ن : 121-185.
2 : م. ن : 309.
3 م. ن : 358-387.
4 : شروح الحماسة أبي تمام.
5 : تاريخ النقد الأدبي عند العرب : 379.
6 : يراجع كتاب " مصادر التراث العربي " وكتاب " نظرة تاريخية".
7 : م. ن.
8 : م. ن.

كما حظيت المجاميع الكثيرة الجامعة لإبداعات عدة شعراء في الأغراض المختلفة على نحو شعر كتاب " المفضليات " و" الأصمعيات " و" المعلقات" حظيت جملة من دواوين كبار الشعراء بالشرح مثل ديوان أبي الطيب المتنبي، وديوان أبي تمام. عرف تراثنا الأدبي أيضا شروحا وفيرة لقصائد مفردة شهيرة مثل قصيدة " لامية العرب للشنفرى" وقصيدة " لامية العجم" للطغرائي، وقصيدة " لامية ابن الوردي" وقصيدة " البردة " لكعب بن زهير، وقصيدة " البردة " للبوصيري.

فقد شرحت " لامية العرب " للشاعر الجاهلي الشنفرى بأعمال تحليلية كشفت جمال نصها من علماء مشارقة ومغاربة على حدّ سواء، ومن شروحها المشرقية " شرح لامية العرب " للخطيب التبريزي[1]، و"شرح لامية العرب" المنسوب لأبي العباس المبرد[2]، وشرح " لامية العرب " المسمّى " أعجب العجب في شرح لامية العرب" لجار الله محمود الزمخشري[3]، وقد ذكر في هذا الصدد أن لابن دريد والعكبري وابن الشجري شروحا أخرى لهذه اللامية[4].

كذلك عرفت لامية العجم للشاعر العميد مؤيد الدين إسماعيل الطغرائي شروحا كثيرة، نذكر منها " غيث الأدب الذي انسجم في شرح لامية العجم " لصلاح الدين الصفدي المتوفى عام (764هـ)، وشرح " نشر العلم في شرح لامية العجم " لجمال الدين محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي، المتوفى عام (1523/930م)، وشرح " نزول الغيث الذي انسجم على شرح لامية العجم " لبدر الدين محمد بن أبي المالكي الدماميني، وشرح " بروق الغيث " لابن حجة الحموي( )، وهناك شروح أخرى مفيدة أبانت عن جماليات هذه القصيدة، وأظهرت مخبآءات أسرارها اللغوية.

---

1 : تراجع مصادر التراث العربي، و " مع المكتبة العربية" و " نظرة تاريخية".
2 : م. ن.
3 : م. ن.
4 : م. ن.

ومن القصائد التي نالت حظا من الشرح والكشف قصيدة الشيخ عمر بن مظفر بن أبي الفوارس المعروف بابن الوردي الذي حلاه السيوطي بقوله: " كان إماما بارعا في الفقه والنحو والأدب، مقننا في العلم ونظمه في الذروة العليا، والطبقة القصوى" ومطلع قصيدته " اللامية":-

اعتزل ذكرى الغواني والغزل ::: وقل الفصل وجانب من هزل

ومن أشهر شروح هذه القصيدة " العطر الوردي في شرح لامية ابن الوردي" لمصطفى بن كرامة الله مخدوم، و" تفاصيل الجمل شرح لامية ابن الوردي" لعبد العزيز ابن مرزوق الطريفي( )، و" فتح الرحيم الرحمن، نصيحة الإخوان، ومرشدة الخلاق" للشريف مسعود القناري، و" شرح لامية ابن الوردي" لأبي عبد الرحمن الحجوري.

ونقف من شروح القدامى للقصائد المفردات ما شرحت به قصيدة " البردة " الموسومة بـ " الكواكب الدرية في مدح خير البرية " للشيخ شرف الدين أبي عبد الله محمد بن سعيد الدولاصي المعروف بالبوصيري (1294/694م) فقد عني بشرحها، والإبانة على ما في مضمونها وشكلها من محاسن جملة من العلماء والأدباء الذين خصّوها بشروح مفيدة نذكر منها شرح الشيخ علي بن محمد البسطامي الشاهروري (ت. 875)، وشرح الشيخ بدر الدين محمد بن محمد الغزي (ت. 984) الذي سمّاه " الزبدة " وشرح الشيخ محي الدين محمد ابن مصطفى المعروف بشيخ زاده (1544/951م)، وشرح الشيخ القاضي بحر بن رئيس بن الهاروني المالكي المسمى " ارتشاف الشهدة في شرح قصيدة البردة "، وشرح الشيخ المولى عبيد الله محمد بن يعقوب القناري صاري (1529/936م)، قال صاحب " الشقائق ": " وهو من أحسن شروحها".

شروح مغربية على نصوص مشرقية

كذلك اهتم علماء الغرب الإسلامي والأندلس، وأدباء المغارب الثلاثة الأدنى والأوسط والأقصى بوضع الشروح الأدبية على النصوص المشرقية والمغربية على حدّ سواء، تقديرا منهم كسابقيهم من علماء المشرق لما لهذه النصوص المتميزة التي أبدعها المبدعون من أدباء المشرق من الفائدة، ولما ينهض على من كشف مخبآءاتها من حسن العائدة، فألفوا مثلهم تآليف وتصانيف على بعض مختاراتها الرائعة بما يشرح غوامضها، ويكون الملكة لدى طلاب الأدب ومتذوقيه.

فمن الشروح المغربية على النصوص الأدبية المشرقية شروحهم على جملة من القصائد الجياد السائرة، مثل مقصورة ابن دريد، وقصيدة لامية العرب للشنفرى، وقصيدة لامية العجم للطغرائي، ومقصورتي ابن دريد، وقصيدة البردة وقصيدة بانت سعاد.

فمن شروح القصائد شرح محمد بن هشام اللحمي السبتي المتوفى عام (577) المسمّى " الفوائد المحصورة في شرح المقصورة "[1] أي مقصورة ابن دريد، وشرح الأليرى على بردة البوصيري، وشرح العلامة أبي جمعة المغوسي المراكشي المتوفى عام (1017)[2]، على لامية العرب المعروفة بـ " اتحاف ذوي الأرب بمقاصد لامية العرب "[3]، وشرحه أيضا على لامية العجم للطغرائي المعروفة بـ " إيضاح المبهم من لامية العجم "[4].

ومن شروحهم على القصائد المشرقية المشهورة شرح العلامة أبي عبدالله محمد بن أحمد بن مرزوق التلمساني من علماء المغرب الأوسط المتوفى عام (1370/771م) على قصيدة " البردة " للإمام البوصيري, والتي شرحها شرحا وافيا, قيل عنه وفي تحليته "إنه شرح عظيم" [5]

---

1 : نهض بتحقيق الكتاب الدكتور محمد حامد الحاج خلف.
2 : إيضاح المبهم من لامية العجم : 47.
3 : حققه صديقنا الدكتور محمد المؤدب ونشرته مكتبة الرشاد سنة 1997م.
4 : وقد حققتُ هذا الكتاب، ونشرته دار المدار الإسلامي سنة...
5 : شرح البردة لابن مرزوق.

وقد سمّى الإمام ابن مرزوق شرحه " الاستيعاب لما في البردة من البيان والإعراب"[1] وظاهر من هذا العنوان عنايته فيه بالبلاغة والنحو, ولهذا العالم التلمساني شرح آخر على البردة سماه: " إظهار صدق المودّة في شرح قصيدة البردة "[2].

كذلك عُني بعض علماء المغرب الإسلامي وأدباؤه بشروح الإبداعات المشرقية في النثر المتميز, من ذلك شرح العلامة أبي العباس أحمد عبد المؤمن الشريشي (619) على مقامات الحريري,[3] وهو شرح أدبي معروف وشرح العلامة ألخشني على السيرة النبوية[4].

كذلك اهتم علماء الغرب الإسلامي وأدباؤه في المغارب الثلاثة: الأدنى والأوسط والأقصى بالشرح الأدبي لبعض الدواوين من إبداعات الشعراء المشارقة, ومن شروح هذا الباب شرح أبي القاسم الافليلي على ديوان المتنبي[5] وشرحا العلامتين ابن سيده (1065/458م)[6] وأبي محمد عبد الله من السيد البطليوسي (521) على الديوان المذكور، وشرح العلامة أبي الحجاج يوسف من سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري (1083/476م)على ديوان أبي تمام.

شروح مغربية على نصوص مغربية

من ذلك شرح العالم المغربي الكبير الشريف السبتي (1358/760م) على مقصورة الأديب الأندلسي اللغوي الناقد حازم القرطاجني الذي سماه "رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة،[7] وشرح أبي جعفر الرعيني على بديعية العميان لأبي جعفر الضرير الوادي آشي المسمى " طراز الحلة وشفاء الغلة" وشرح ابن بدرون على قصيدة ابن عبدون.

---

1 : م. ن .
2 : لا يزال الكتاب مخطوطا.
3 : له الشرح الكبير على المقامات في مجلدين وله شرح آخر متوسط وشرح صغير.
4 : يراجع كتاب " قبس من عطاء المخطوط المغربي" لأستاذنا العلامة محمد ألمنوني.
5 يراجع كتاب "قبس من عطاء المخطوط المغربي"
6 هو شرح المشكل من شعر المتنبي.
7 : نشر بتحقيق الأستاذ الدكتور محمد الحجوي في المغرب سنة (1997/1418)

وكما اهتم علماء المغرب الإسلامي بتأليف الشروح على الشعر والنظم والقصيد المغربي والأندلسي اهتموا أيضا بشرح النصوص النثرية الأدبية المغاربية, سواء أكانت هذه النصوص نصوصا قصيرة أم نصوصا مطوّلة, نذكر من أمثلة اللون الأول ما شرح به الفقيه العالم الأديب أبو الحسن علي بن عبدا لله البنّاهي[1] المالقي مقامته حول " النخلة والكرمة" وهو شرح لايزال مخطوطا, نكتفي هنا بذكر جملة من طالعته بعد التحميد, حيث قال: " فإني كنت قد أمليت أحرفا في الأيام الماضية على لساني نخلة وكرمة, جوابا عن سؤال تكرّر لدي في ذلك ممن لزمني إسعافه, ولم يسعني إذ ذاك خلافه, نحوت فيه منحى العتاب على إهمال بعض الكتاب, وألممت بنبذ من التنبيه على صفتي الخامل والبنية, والقصد بذلك كله شحذ القريحة, ومزج الفكاهة بالنصيحة, "رعيا لوسائل السائل"[2] .

وقد نحا القاضي البنّاهي في شرحه على نص مقامته المختصر، والذي أجرى فيه الحوار على لساني نخلة وكرمة منحى الشروح الأدبية على النصوص النثرية المختصرة.

أما اللون الآخر من هذه الشروح النثرية على النصوص النثرية المطولة, فنمثل له بكتاب شرح العلامة أبي عبد الله محمد بن قاسم بن زاكور (ت 1120) المسمى "فرائد التبيان" وهو شرح انتقائي نفيس على كتاب "قلائد العقبان " للفتح ابن خاقان الأندلسي, المتوفى عام (1134/529م) أظهر فيه مؤلفه الشارح اللغوي ابن زاكور المغربي طبائع ثقافته العميقة, وعلومه اللغوية الغنية المتنوعة, ومعارف عصره الثرية في العهد الإسماعيلي المغربي.

كذلك خدم القدامى النصوص الأدبية الشعرية والنثرية القديمة, وأظهروا جمالياتها, وكشفوا مظاهر فنياتها بفن النقد وصناعته, والنقد

1 : تراجع ترجمة في " نفح الطيب" و" الإحاطة في أخبار غرناطة " و " نزهة البصائر والأبصار"
2 : يراجع مخطوط " النخلة والكرمة" أو " المقامة النخلية" ويقوم بتحقيقه الآن الأستاذ رضا محمد جبران لنيل درجة الدكتوراه من جامعة محمد الخامس.

في أبسط تعاريفه هو الفن النثري التقييمي الذي يستكنه النصوص الأدبية الإبداعية, ويظهر للمتلقي مالها من محاسن, وما عليها من معايب ومقابح, كما تدل المبدع والمتلقي على حد سواء على مكامن القوة والضعف, فتؤدي بذلك فائدة قيمة للنصوص والمبدع والمتلقي.

ومن أهم النقاد المشارقة والمغاربة الذين أدوا هذا الدور في خدمة النصوص من أعلام القرن الثاني الخليل بن أحمد الفراهيدي, وعبد الملك بن قريب الأصمعي.

ومن أعلام القرن الثالث عمرو بن بحر الجاحظ (255/) الجمحي (846/232م) وثعلب (903/291م) وأبو العباس المبرد (908/296م) وأبو محمد عبد الله بن قتيبة (889/276م), ومن أعلام القرن الرابع ابن طباطبا العلوي(933/322م) وأبو العباس النامي(1008/399م) والقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (1001/392م) ومن أعلام القرن الخامس الذين خدموا النصّ الأدبي بالنقد والتوجيه نذكر أبا العلامة المعري أحمد بن سليمان (1057/449م) وابن سنان الخفاجي (1073/466م) وشارح كتاب حماسة أبي تمام المرزوقي (1049/441م).

كذلك نذكر من هؤلاء الأعلام الذين نهضوا بخدمه النصّ نقدا وتوجيها وتقويما في القرن السادس والسابع الهجريين حازما القرطاجني ومالك بن المرحل (1299/699م) ومحمد لسان الدين بن الخطيب وعبد الرحمن بن خلدون (1322/732م) وثمة نقدة آخرون ظهروا بنقدهم التوجيهي في خدمة النصّ الأدبي بعد القرنين المذكورين، وأسهموا بنصيب وافر مع من سبقهم في قراءة النصّ الأدبي واستكنامه ونقده وتوجيهه، ووضع الأصول والأسس واللازمة التي تدخله في حيز جماليات النصّ الأدبي.

ثانيا: خدمة النصّ عند المحدثين

1- كتب الاختيارات والشروح

سار المحدثون من علماء المشرق والمغرب على نهج القدامى من أعلام العلماء في تقدير أهمية النصّ الأدبي والعناية به وخدمته، مراعاة لقيمته ودوره في الارتقاء بالناشئة, وضخّ رصيدهم اللغوي بالرفد، وصقل ذائقتهم الأدبية بجماليات النصوص القديمة والحديثة من النظيم والنثير المتجلّية في المضامين والأشكال.

والمتأمل في أعمال المحدثين في خدمة جماليات تلك النصوص يراها موزعة بين خمس اتجاهات رئيسية:

1- **اختيار النصوص المنظومة والمنثورة من الأدب القديم والحديث مع بعض الإضاءات اللغوية والتاريخية أحيانا.**
2- **الاتجاه الذي اتجهوا فيه نحو التوسع في الشرح والتحليل والنقد، وكشف مظاهر الجماليات.**
3- **اتجاه النقد الأدبي المحض في ذكر ما للنص وما عليه.**
4- **اتجاه التأليف في " تاريخ الأدب " وعصوره.**

وإذا كان ليس من هدفنا هنا التوسع في دراسة هذه الاتجاهات الأربعة، وتبيان أسماء مؤلفاتها ومصنفاتها ومؤلفيها؛ فلا أقل من أن نذكر طرفا من سماتها الدالة على طبيعة كل واحدة منها، وأسماء العلماء الذين أسهموا في مجالاتها.

فممن أسهم في الاتجاه الأول من المشارقة الأديب الشاعر محمود سامي البارودي بمختاراته المسماة " مختارات البارودي " في أربع مجلدات وقد اختار فيها البارودي بذائقته نصوصا شعرية من العصر

الجاهلي إلى عصر الدول المتتابعة مرورا بعصر صدر الإسلام والعصر الأموي والعصر العباسي، وقد قصد بوضع هذه المختارات الشعرية بين يدي أهل عصره في القرن التاسع عشر أنّ يدلّ جماعته جماعة البعث والإحياء على النماذج التي يجب أن تحتدي في حركة الإحياء الشعري.

وشبيهة بهذه المختارات البارودية الكتاب المسمى " كتاب أدبيات اللغة الغربية " الذي صدر بعدها في سنة (1909/1327م) في أجزاء. وقد اختار فيه جامعوه محمد عاطف بك ومحمد نصار وأحمد إبراهيم وعبد الجواد أفندي عبد المتعال من موظفي نظارة المعارف العمومية نصوصا شعرية ونثرية كثيرة من مختلف العصور للرقي بذائق طلاب العلم والأدب في أوائل القرن العشرين.

ونجد من أشكال هذه الاتجاه أيضا مثل " مختارات المنفلوطي " ويبدو أنّ بعض أدباء المغرب الأقصى من المحدثين كانوا أكثر عناية من غيرهم من أدباء المغرب العربي الكبير أو الغرب الإسلامي الأوسط والأقصى بتأليف كتب الاختيارات, وتصنف كتب المنتخبات، وقد رصد صديقنا الأستاذ الفاضل محمد احميدة بكلية الآداب ـ القنيطرة ـ جملة من تلك الكتب في بحث القيم بعنوان " المنتخبات الأدبية عند المغاربة ـ المنتخبات الجعفرية لمحمد الحجوي نموذجا " [1].

وقد ذكر أن من هذه المنتخبات الأدبية التي انتقيت في العصر الحديث كتاب " المنتخبات العبقرية لطلاب المدارس الثانوية " للفقيه محمد بن عبد السلام السائح، الذي طبع بمدينة الرباط في سنة (1920/1339م)، والكتاب ـ كما ذكر الأستاذ محمد احميدة " يتضمن منتخبات نثرية وشعرية من كتابة علماء أندلسيين ومغاربة، من مؤلفين ومؤرخين وشعراء ومترسلين" [2]، ومنها كتاب " وادي الجواهر ومجموع المكنون من الذخائر" للأستاذ الأديب السياسي علال الفاسي الذي صدر سنة

1 : نشر بمجلة الآداب والعلوم الإنسانية بالقنيطرة، العدد 5، س ـ 2005.
2 : م. ن.

(1925/1344م) ويشتمل على مختارات شعرية لبعض شعراء مدينة فاس: الشاعر محمد غريط والشاعر عبد الله الفاسي الفهري، والشاعر أحمد ابن المأمون البلغيثي والشاعر محمد السليماني.

وقد صدر في سنة (1929/1348م) كتاب آخر في المنتخبات هو كتاب " الأدب العربي في المغرب الأقصى" للأديب محمد بن العباس القباج، وتلاه في الصدور في حدود سنة (1938/1357م) جهد العلامة الأديب عبد الله كنون في اختيار منتخبات من النثر والشعر أعني كتابه المشهور " النبوغ المغربي في الأدب العربي".

ومن كتب الاختيارات الأدبية التي رصدها صاحب البحث المذكور في النصف الثاني من القرن العشرين الكتاب المسمّى " من شعراء المغرب الأقصى وأدبائه المعاصرين " للعلامة عبد الله الجراري الذي صدر الجرز الأول ضاما واحدا وعشرين شاعرا بترجمة مختصرة ومختارات من منتخباته وكتاب " منتخبات شعرية " اختيار عبد الجليل ناظم الأستاذ بكلية الآداب بالرباط، وقد جمع فيه منتخبات من الشعر المغربي المحافظ والشعر الرومانسي المجدد.

وقد ألمح صديقنا الباحث الفاضل الأستاذ محمد احميدة إلى أن قسما آخر من هذه المنتخبات " ما يزال مجهولا أو كالمجهول مخطوطا في بعض الخزائن العامة والخاصة، ومن بين هذه المختارات الأدبية التي ماتزال مخطوطة " المنتخبات الجعفرية " للفقيه الأديب محمد الحجوي" التي ألقى عليها حزمة من الأضواء.

كذلك نقف للمغاربة المحدثين على جهود غير قليلة في هذا الاتجاه في المغرب الأدنى (ليبيا وتونس) والمغرب الأوسط (الجزائر) على جهود غير قليلة في هذا الاتجاه، أعني اتجاه الاختيارات ونجتزي من ذكر ذلك بالإشارة إلى كتاب " مجمل الأدب التونسي " للعلّامة المؤرخ حسن حسني عبد الوهاب من تونس.

وإلى كتاب " روائع من الشعر العربي " الأستاذ الأديب الناقد خليفة التليسي الذي يقع في ستة أجزاء.

2- فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى الاتجاه الآخر الذي اتجه فيه الأدباء واللغويون المحدثون إلى التوسع في شرح النصوص الأدبية وتحليلها، وكشف مظاهر الجماليات فيها، فسوف نجد أن أعلام المشرق كانوا السابقين في هذا الاتجاه تاريخيا وأكثر مشاركة بالتأليف والإبداع فيه، وأن الأدباء واللغويين المغاربة كانوا تابعين في ذلك، وأقل تأليفا وإبداعا ومن أوائل أعلام المشرق الذين أسهموا في التأليف في هذا الباب الشيخ حسين المرصفي في كتابه " الوسيلة الأدبية " والدكتور طه حسين وأحمد الإسكندري وأحمد أمين وعلي الجارم وعبد العزيز البشري وأحمد ضيف في كتاب " المنتخب من أدب العرب " المطبوع سنة 1936م.

ومن الذين برزوا في هذا الاتجاه بالتأليف الأستاذ حنا الفاخوري في سلسلته المسماة " الجديد في الأدب العربي " والأستاذ إيليا الحاوي في سلسلته المسماة " في النقد والأدب " والدكتور عمر فروخ في سلسلته المعروفة بـ " المنهاج الجديد في الأدب العربي"، وشبيه بمنهج هذه الكتب الطريفة التي سارت عليها المقررات الدراسية في سائر البلاد العربية.

3- ومن مظاهر خدمة النصّ الأدبي وجمالياته عند العلماء والأدباء المحدثين، إسهامهم في الكتابة والتأليف في فن نقد النصوص الأدبية الشعرية والنثرية، وهو المجال الذي اتبعوا فيه النقاد السابقين، وقد صدرت في ذلك آثار كثيرة ووفيرة للنقدة من الأدباء يتعذر حصرها، وهي تمثل آثار الكتاب المحافظين والمجددين الذين يمثلون جماعة البعث والإحياء وجماعة الرومانسيين في جماعة الديوان وجماعة أبو للو وجماعة المهجر بقسميه الشمالي والجنوبي، فلا نطيل بذكر أسماء تآليفهم الكثيرة المعروفة.

4- أما المجال الأخير الذي انفرد به الأعلام المحدثون في خدمة جماليات النصّ الأدبي فهو مجال تأليفهم الواسع في كتابة " تاريخ الأدب العربي " عبر عصوره، أو عبر فنونه، وهو المجال الجديد الذي لم يعهد فيه للقدامى آثار وتآليف.

ومظهر خدمة النصوص الأدبية الشعرية والنثرية في حقل كتب تاريخ الأدب العربي، هو التتبع الاستقرائي التاريخي الذي من شأنه تصنيف الآثار الأدبية بنوعيها حسب طبائع تلك العصور وملامحها سواء من الوجهة التاريخية أو الفنية، إذ لكل عصر من العصور، أو فن من الفنون طبائع واتجاهات وملامح وأوضاح، ومن الأعمال التي كتبت في هذه الاتجاه كتاب الشيخ.. وما كتبه الأستاذ أحمد حسن الزيات " تاريخ الأدب العربي " في مجلد واحد، وما كتبه الدكتور عمر فروخ " تاريخ الأدب العربي " في ستة أجزاء.

وبهذه اللمحة الموجزة المركزة يمكننا تبيين جهود العلماء في خدمة تحليل جماليات النصّ الأدبي قديما وحديثا.